

الدرس السادس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، اللهم اجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا ، اللهم فقهنا في الدين وارزقنا حسن الاتباع لنبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه . أما بعد :

قال الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه المعنون بـ«عمدة الأحكام» :

كتاب الصلاة - باب الذكر عقيب الصلاة

١٣٥ - عَنْ سُمَيِّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : «قَدْ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ» فَقَالَ : ((وَمَا ذَاكَ؟)) قَالُوا : «يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَفَلَا أَعَلِمَكُمُ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟)) قَالُوا : «بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ» ، قَالَ : ((تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً)) ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)) . قَالَ سُمَيٌّ : فَحَدَّثْتُ بَعْضَ أَهْلِي هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ : وَهْمَتَ ، إِنَّمَا قَالَ لَكَ : تُسَبِّحُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتَحْمَدُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُكَبِّرُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ . فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي صَالِحٍ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ : «اللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، حَتَّى تَبْلُغَ مِنْ جَمِيعِهِنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» .

فإننا لا نزال في ((بابُ الذكرِ عَقِيبِ الصَّلَاةِ)) ، ومر معنا إشارة إلى فضل الذكر عقيب الصلاة وما فيه من حِكم أشار إليها أهل العلم رحمهم الله تعالى .

أورد حديث سُمِّيَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : ((أَنَّ فَقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : قَدْ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ)) ؛ هذه شكوى تقدم بها الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحصل هذه الشكوى رغبتهم العظيمة في الخير والتنافس في عبادة الله وبلوغ الدرجات العلى يوم لقاء الله تبارك وتعالى ، فهي شكوى تنم عن عظيم رغبتهم في الخير وحرصهم عليه وتنافسهم فيه ، فهم لم يشكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا سبق الأغنياء في هذا الباب الذي أمكنهم الله سبحانه وتعالى منه بوجود المال بين أيديهم ، فهم ينفقون ويعتقون ويتصدقون ، عندهم فضل أموال يبدلونه في وجوه الخير وأبواب البر والإحسان . فالفقراء إنما كانت شكايتهم في هذا الجانب ، وهذا من الدلائل على عظيم رغبة هؤلاء الصحابة الأخيار فقراء الصحابة رضي الله عنهم عظيم رغبتهم في المنافسة في الخير ، لم تكن همتهم متجهة لمنافسة الأغنياء في دنياهم لم تكن متجهة لهذا ، ولم تكن شكايتهم في هذا ، وإنما كل همهم التنافس في الدرجات العلى يوم لقاء الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا قالوا: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ» .

«ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ» أي أهل الأموال ، أي المال الكثير .

« بِالدرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ » ؛ الدرجات العلى : أي الرفيعة ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩] فكلما كثرت أعمال العبد الصالحة ومن جملة هذه الأعمال الصالحة : الإنفاق في سبيل الله ، العتق في سبيل الله ، الحج والحج عبادة مالية بدنية تحتاج إلى مال ، فالأغنياء عندهم فضل مال يتمكنون من هذه الأعمال التي لا يتمكن منها الفقراء .

قالوا : «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ» ؛ معنى المقيم أي الذي لا يزول ؛ النعيم الباقي وهو نعيم الآخرة . ومراد الفقراء أن الأغنياء حصلوا الدرجات العالية والنعيم المقيم بما يبدلونه من صدقات وأموال وبذل في سبيل الله .

فقال عليه الصلاة والسلام : ((وَمَا ذَاكَ؟)) ما الأمر ؟

((قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ)) أي أن عندهم فضل أموال ، أموال زائدة يستطيعون من خلالها الصدقة ويستطيعون من خلالها العتق والبذل في سبيل الله ونحن لا نملك مالا ، يشتركون معنا في الصلاة ويشتركون معنا في الصيام ونحو هذه الأعمال ولكن يزيدون علينا هذه العبادات المالية التي تحتاج إلى المال .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَفَلَا أَعَلَّمْتُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ مَنْ بَعْدَكُمْ)) وهذا نظير الحديث الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام ((سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ)) قَالُوا: «وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ)) ؛ كَأَنَّهُ بَيَّنَّ أَنَّ أَهْلَ الْعِبَادَةِ كَأَنَّهُمْ فِي مَضْمَارِ سَبَاقٍ وَتَنَافُسٍ ، وَأَنَّ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ هُمُ أَهْلُ السَّبَقِ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ .

فهنا يقول ((أَفَلَا أَعَلَّمْتُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ - من سبقكم بالأعمال الصالحة تدركونه تلحقونه - وَتَسْبِقُونَ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟)) ؛ فمن صنع مثل ما صنعتهم وزاد عليكم بأعمال أخرى سيكون أفضل منكم ، لكن مادمتهم أهل هذه الأعمال فأنتم أهل السبق . فالحديث فيه شاهد لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ)) قَالُوا: «وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ)) ، وفيه فضل الذكر وعظيم ثوابه وَأَنَّ أَهْلَهُ هُمُ أَهْلُ السَّبَقِ ، أَهْلُهُ هُمُ أَهْلُ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَالرَّفْعَةِ .

((قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ)) أي دلنا أرشدنا ، وهم إنما جاءوا إليه حرصًا على الخير وطلبًا في الدلالة إليه .

قَالَ: ((تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتُحَمِّدُونَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً)) ؛ «دُبْرُ كُلِّ صَلَاةٍ»: أي مكتوبة ، «ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» أي ثلاثًا وثلاثين تسبيحة ، وثلاثًا وثلاثين تحميدة ، وثلاثًا وثلاثين تكبيرة ؛ «تُسَبِّحُونَ» أي تقولون سبحان الله ، «وَتُكَبِّرُونَ» أي تقولون الله أكبر ، «وَتُحَمِّدُونَ» أي تقولون الحمد لله ، «دُبْرُ كُلِّ صَلَاةٍ» أي عقيب الصلاة بعدها ، والمراد بعد السلام لا قبله ، لأن ما كان من قبيل الذكر مما يقال دبر الصلاة فهو بعد السلام ، وما كان من الدعاء فإنه يكون قبل السلام .

قوله ((تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً)) هل هو للجميع أو للمجموع ؟ للجميع : بأن تقول سبحان الله سبحان الله سبحان الله ثلاثا وثلاثين ، ثم تقول الحمد لله الحمد لله ثلاثا وثلاثين ، ثم تقول الله أكبر الله أكبر ثلاثا وثلاثين ، أو للمجموع : بأن تقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين . هل هو للجميع أو للمجموع ؟

كلا الأمرين حسن كما قال العلماء ، لكن النظر فيما هو الأفضل وإلا كلاهما حسن ؛ سواء قلت سبحان الله ثلاثا وثلاثين ثم قلت الحمد لله ثلاثا وثلاثين ثم قلت الله أكبر ثلاثا وثلاثين ، أو جئت بها مجموعة سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة .

□ فمن أهل العلم من قال الأفضل أن يؤتى بها مجموعة "سبحان الله والحمد لله والله أكبر" ثلاثا وثلاثين مرة ، وذكر أهل العلم في وجه هذا التفضيل أمورًا :

❖ منها : أن هذا أيسر وأضبط في العد ؛ لأنك بهذه الطريقة لا تحتاج أن تعد بيدك إلا ثلاثًا وثلاثين مرة واحدة ، فهو أيسر وأضبط في العد ؛ سبحان الله والحمد لله والله أكبر .. سبحان الله والحمد لله والله أكبر .. فلا تحتاج تعد إلا ثلاثا وثلاثين مرة فقط ، أما إذا على الطريقة الثانية تحتاج تعد تسعًا وتسعين مرة حتى تأتي بهذه الأذكار الثلاثة .

❖ الأمر الثاني مما ذكره أهل العلم في تفضيل هذه الطريقة : أن تكرار التسبيح والتحميد والتكبير على القلب مرة بعد مرة أبلغ من سرد كل جملة على حدة ، تكرارها على القلب " سبحان الله والحمد لله والله أكبر .. سبحان الله والحمد لله والله أكبر .. " تتكرر أولى من سردها جملة واحدة هذا وجه أيضا أشار إليه بعض أهل العلم .

❖ ووجه ثالث : أن هذه الطريقة فيها زيادة الواو سبحان الله والحمد لله والله أكبر ، فيها زيادة الواو وفي هذه الزيادة حرفٌ له فضله في ذكر المرء لربه سبحانه وتعالى .

□ الطريقة الثانية : أن يأتي بالتسبيحات أولاً ثلاثًا وثلاثين ، ثم التحميدات ثلاثا وثلاثين ، ثم التكبيرات ثلاثًا وثلاثين . ومما قيل في تفضيل ذلك : أن أفراد كل ذكر على حدة يحتاج إلى تحريك الاصبع بعد الذكر بدلا من ثلاث وثلاثين مرة تسعا وتسعين مرة ، وهذه الحركة حركة

الاصبع لها أجرها عند الله لأنها حركة في طاعة الله سبحانه وتعالى ، فإذا حركها تسعاً وتسعين مرة أفضل من تحريكها ثلاثاً وثلاثين مرة .

وعلى كلِّ كلا الأمرين حسن كلاهما سائغ ، وإن جاء بهذا أو جاء بهذا الأمر في ذلك واسع وإنما البحث في ذلك في ما الأفضل ؟

إرشاد النبي عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الفقراء إلى هذا الذكر وأنهم يسبقون به ((تُذَرِّكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ مَنْ بَعْدَكُمْ)) إرشادهم إلى ذلك فيه دلالة كما ذكر أهل العلم على أن هذه الأذكار تقوم في حق هؤلاء مقام الصدقة والعق ؛ فهي باب من أبواب الصدقة ، كما أيضاً يشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ((فِي كُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَفِي كُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَفِي كُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَفِي كُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ)) ؛ فهي تقوم مقام الصدقة والعق لمن عجز عن ذلك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أرشدهم إلى شيء يقوم مقام هذا الذي عجزوا عنه فيسبقون به من سواهم إلا من فعل مثل فعلهم وصنع مثل صنيعهم .

قَالَ أَبُو صَالِحٍ -أي السمان- : ((فَرَجَعَ فَقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ)) ؛ فهذا الباب الذي ذكرته لنا نسبق به ويكون لنا السبق شاركنا فيه أهل الأموال فصاروا مساوين لنا في هذا العمل وبقي فضل المال الذي عندهم فسبقونا بذلك .

قالوا : «سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ» ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)) ؛ ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] نسأل الله لنا ولكم من واسع فضله سبحانه وتعالى .

أَنبَتْهُ هُنَا -وقد نبّه إليه بعض الشراح - إلى الحديث العظيم في سنن الترمذي وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ ؛ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ)) وهنا قال : ((ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْذَّرَجَاتِ الْعُلَى)) ، قال : ((فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ)). قال : ((وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بَيْنَتُهُ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ)) ؛ فالنية الصادقة إذا وجدت في الشخص الفقير الذي لا مال له إذا رأى الأفاضل الأخيار ممن آتاهم الله المال ويبدلون وينفقون ويتصدقون وسلم من أمراض القلوب من حسد أو نحو ذلك

وقال في نفسه عازماً صادقاً مع ربه تبارك وتعالى أن لو كان له من المال مثل فلان لأنفق مثله ولبذل مثله وهو صادق مع ربه قال : ((فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ)) ؛ وهذا داخل تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)) ؛ ذاك فضله بمال أنفقه ، وهذا فضله بنية صادقة بينه وبين ربه أن لو كان عنده من المال مثل فلان لبذل مثل ما بذل ، قال عليه الصلاة والسلام ((فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ)) .

قَالَ سُمَيُّ : ((فَحَدَّثْتُ بَعْضَ أَهْلِي هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ وَهَيْتَ ، إِنَّمَا قَالَ لَكَ: تُسَبِّحُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ)) ؛ والجملة الأولى تدل على هذا المعنى ، لأن قوله فيما تقدم وهو لفظ الحديث ((تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً)) هذه الجملة تدل على هذا المعنى أن يسبح ثلاثا وثلاثين تسبيحة ويمجد ثلاثا وثلاثين تحميدة ويكبر ثلاثا وثلاثين تكبيرة ، لأن المراد مجموع هذه الثلاث التسبيح والتحميد والتكبير .

قَالَ سُمَيُّ : ((فَحَدَّثْتُ بَعْضَ أَهْلِي هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ وَهَيْتَ ، إِنَّمَا قَالَ لَكَ: تُسَبِّحُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ؛ فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي صَالِحٍ أَبِي السَّمَانَ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَتَّى تَبْلُغَ مِنْ جَمِيعِهِنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ)) ؛ وعلى هذا الفهم فهم أبي صالح تكون التسبيحات إحدى عشرة تسبيحة ، والتحميدات إحدى عشرة تحميدة ، والتكبيرات إحدى عشرة تكبيرة ؛ فيكون من مجموع ذلك ثلاثاً وثلاثين ، لكن هذا فهم لأبي صالح ، ليس هذا نص الحديث وإنما هذا فهم فهمه من الحديث .

قال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري : «وَهُوَ الَّذِي فَهَمَهُ سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْهُ ، لَكِنْ لَمْ يُتَابَعَ سُهَيْلٌ عَلَى ذَلِكَ ، بَلْ لَمْ أَرِ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْحَدِيثِ كُلِّهَا التَّصْرِيحَ بِإِحْدَى عَشْرَةَ إِلَّا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ عِنْدَ الْبَزَّارِ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الْمَجْمُوعَ لِكُلِّ فَرْدٍ فَرْدٌ» ، يعني المجموع للتسبيحات ثلاثا وثلاثين والتحميدات ثلاثا وثلاثين والتكبيرات ثلاثا وثلاثين ، فللمجموع لكل فرد فرد أي أن قوله ثلاثا وثلاثين لكل فرد فرد من هذه الأذكار ؛ هذا هو المراد .

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ذكر هذه الأذكار الثلاث دبر الصلاة «سبحان الله والحمد لله والله أكبر» وَقَالَ تَمَامُ الْمِائَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ؛ فإذا أخذ المرء بهذا الحديث حديث أبي هريرة يكون قد جاء بما دل عليه هذا الحديث الذي عندنا في هذا الباب وزيادة التهليل أخذًا من حديث آخر قال فيه : ((عُفِّرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)). . فالحاصل أنه يؤتى بهذه التسبيحات ؛ سبحان الله ثلاثا وثلاثين ، الحمد لله ثلاثا وثلاثين ، الله أكبر ثلاثا وثلاثين ، ويضاف إليها ما دل عليه حديث أبي هريرة الآخر في صحيح مسلم أن يقال تمام المئة « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

قال رحمه الله تعالى :

١٣٦ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ ؛ فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: ((اذهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ ، وَأُتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ أَبِي جَهْمٍ ؛ فَإِنَّهَا أُلْهَنِي آنَفًا عَنْ صَلَاتِي)). .
الخميصة: كساء مربع له أعلام . والأَنْبِجَانِيَّة: كساء غليظ .

ثم ختم رحمه الله هذا الباب بهذا الحديث عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ)) قال المصنف رحمه الله : «الخميصة: كساء مربع له أعلام» يعني فيه خطوط فيه زينة ؛ تحميل له بخطوط .
((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ)) ؛ هذه الخميصة التي لها أعلام كانت هدية أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم أبو جهم .
((فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً)) بعد أن انصرف عليه الصلاة والسلام من صلاته نظر إلى أعلامها نظرة .

((فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: اذهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ ، وَأُتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ أَبِي جَهْمٍ)) ؛ قال الشارح «والأَنْبِجَانِيَّة: كساء غليظ» وليس فيه مثل هذه الخطوط والأعلام .

قال : ((فَإِنَّهَا أَهْتَنِي أَنْفًا عَنْ صَلَاتِي)) ؛ أهتني : أي شغلني . والحديث له تعلق بأمر الخشوع في الصلاة وأهمية الخشوع في الصلاة ، وأن العبد يحرص على جمعية قلبه في صلاته لئلا يذهب ، ومن الأمور التي تذهب القلب عن الخشوع ؛ البصر ، فإذا كان هناك زخارف وزينة وألوان ونحو ذلك قد يذهب البصر مع هذه الزخارف فينشغل القلب ويذهب عنه خشوعه في الصلاة ، يلهو عن الخشوع في الصلاة ، يعني تلك المناظر تلهيه عن الخشوع في الصلاة ، ومطلوب من المسلم أن يحرص على البعد عن كل ما يلهيه من زخارف وألوان ، ولهذا أخذ العلماء من هذا الحديث عدم جواز زخرفة المساجد وتزيينها لا في السجاد ولا في الجدران ، لأن الزخرفة والزينة والألوان هذه تشغل الإنسان وتلهيه ، ولهذا الصلاة على السجادة التي ليس فيها زخارف أفضل وأسلم لقلب المرء ، وإذا صلى على سجادة فيها زخارف لا حرج الصلاة صحيحة لكن يُخشى عليه أن تشغله وأن تلهيه .

وأيضاً يستفاد من ذلك : عدم مشروعية إغماض البصر في الصلاة طلباً للخشوع ، لأن لو كان هذا مشروعاً لكان المصير إليه حتى لا تلهي مثل هذه الثياب أو الألوان أو الزخارف ونحو ذلك حتى لا تلهي المرء عن صلاته ، ولم يأت ما يدل على إغماض البصر في الصلاة طلباً للخشوع فيها .

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم للخميسة إلى أبي جهم وطلب الأنبيجانية التي عنده هذا من تطيب الخاطر له ، لأنه ما أراد أن يرد هديته وإنما استبدلها ، وفرق بين أن ترد الهدية وتعيدها وتطلب شيئاً آخر بدلها ، هذا أهون من مجرد الرد هكذا ، فكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من باب تطيب الخاطر لأبي جهم ، ما قال ردها عليه ، فرد الهدية فيها كسر للقلب لكن ردها لأخذ بديل لها أهون وألطف وأرفق .

قال : ((اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ ، وَأَتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ أَبِي جَهْمٍ ؛ فَإِنَّهَا أَهْتَنِي أَنْفًا عَنْ صَلَاتِي)) يستفاد من قوله ((أَهْتَنِي أَنْفًا عَنْ صَلَاتِي)) أن المسلم مطلوب منه أن يبعد عن نفسه ما يلهيه عن صلاته أيّاً كان ، الشيء الذي يلهيه عن صلاته ويشغله عن صلاته يبتعد عنه . ومن الأمور المتأكدة والمتعينة في زماننا هذا ما يتعلق بالجوالات ، الجوالات يا إخوان الآن أهت كثير من الناس عن صلواتهم وأشغلتهم ؛ ولهذا تحقيقاً لهذا المطلب في هذا الحديث إما أن لا يدخل جواله معه في المسجد أصلاً ، أو إذا أدخله يجعله على وضع الصامت أو وضع

المغلق ، لكن لا يجعله في وضع الرنين أو اشتغال المنبه لأن هذا يلهيه عن صلاته ويلهي من حوله عن صلاته ، وكم شُغلت الناس الآن عن صلواتهم بهذه الجوالات .

والمصيبة العظمى والبليّة الكبرى أن مساجد المسلمين في هذا الزمان لا يكاد يخلو وقت من أوقات الصلوات الخمس إلا وتُضرب فيه الموسيقى داخل المساجد ، وهذا أمر ما كان يقع ولا يخطر بالبال أنه يقع في زمانٍ سابق ، من كان يتصور أو يتخيل لو قيل له : سيأتي على الناس زمان لا تمر عليهم صلاة إلا ويسمعون موسيقى داخل المسجد ؟ يقول لك والله ما أصدق ولا يمكن هذا ، لكن هذا الآن أمر واقع لا تكاد تخلو صلاة إلا وتُسمع الموسيقى ، ليس مجرد منبهات المنبهات موجودة ، لكن بعض الناس يجعل منبه جواله موسيقى وتضرب داخل المسجد ، وربما بعضهم يريد أن يتورع عن الحركة في الصلاة فيترك هذا الرنين يستمر حتى ينطفئ من نفسه ؛ فهذا من أعظم الأمور الملهية والمشغلة للناس في هذا الزمان . وانظر نوع الإلهاء عندما يرن جوال الشخص في جيبه ثم يدخل يده ويغلق الجوال ثم يبدأ القلب يتساءل من المتصل الآن ؟ وماذا يريد ؟ ويأتيه الشيطان ويشغله من هذا الباب عن صلاته . فالحاصل أن أمر جمع القلب في الصلاة والخشوع فيها والبعد عما يلهي أمر مطلوب من العبد حتى تكمل له صلاته وتتم بإذن الله سبحانه وتعالى .

ما علاقة هذا الحديث بالباب ؟ الباب تعلقه بالأذكار التي تقال عقيب الصلاة ، وهذا يتعلق بفعلٍ في الصلاة نفسها حتى لا يلهو قلب المرء في صلاته ؛ فما علاقة هذا الحديث بهذا الباب ؟

- بعض الشراح أشار إلى أن الأولى أن يُجعل هذا الحديث في «الجامع» ؛ باب مر معنا قريبا بعنوان «الجامع» جمع فيه أحاديث متنوعة تتعلق بالصلاة . فبعض الشراح أشار إلى أن الأولى جعل هذا الحديث في باب الجامع الذي مر معنا سابقا .
- وبعض أهل العلم أشار حقيقة إلى لطيفة جميلة جدا في وجه إيراد هذا الحديث في هذا الباب : بأن لعل المناسبة من ذكره في باب الذكر عقيب الصلاة أنه لا بأس بالكلام الذي نحو هذا حين الفراغ من الصلاة قبل الذكر ، يعني المطلوب عقيب الصلاة أن تشرع في الذكر مباشرة لكن لا بأس بالكلام اليسير نحو هذا الكلام عقيب الصلاة قبل أن تبدأ بالذكر لا بأس بذلك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من صلاته قال ((فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ: اذْهَبُوا بِحِمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ ، وَأُتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ أَبِي جَهْمٍ؛ فَإِنَّهَا أَهْتَنِي

آنفًا عَنْ صَلَاتِي)) فقالوا يستفاد منه أنه لا بأس في مثل هذا الكلام ولا سيما الذي يتعلق بمصلحة الصلاة . مثلا لو أن شخصا إلى جنبك حصل منه ما أشرنا إليه قبل قليل أن جواله فيه هذا الإزعاج والإيذاء وقبل أن تبدأ بالأذكار التفت إليه ونبهته تنبيهها لطيفا ونصحته نصحا رفيقا قبل أن تبدأ بالذكر لا حرج . فيستفاد من ذلك أن نحو هذا الكلام اليسير قبل أن تشرع بالذكر لا حرج في ذلك ، فهذا وجه أشار إليه بعض أهل العلم في إيراد المصنف رحمه الله تعالى لهذا الحديث في خاتمة هذا الباب .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.